الفصل التاسع

في اتجاه برشلونة

السابع عشر من أيلول عام ٢٠٠٠م

العربية	الإسبانية (الأرجنتين)	الإسبانية (إسبانيا)
حارس مرمى	portero	Arquero
حافلة	autobus	Colectivo
فطائر دنماركية	bollo	Facture
قلم حبر	bolígrafo	Birome
خُفّ (شبشب)	chanclas de dedo	Ojotas
شقة	piso	Departamento
تنورة	falda	Pollera
دائري	esférico	Redonda
قميص (تي شيرت)	camiseta	Remera
معطف	abrigo	sobretodo

تعني كلمة (coger) باللغة الإسبانية يحضر، أو يمسك. أمّا عند الأرجنتينيين فتعني أمرًا بذيئًا، والأفضل لنا ألّا نذكره.

obeikandi.com

يقولون: إنّ اللغة في إسبانيا والأرجنتين هي عينها؛ أي كاستيليان (castellano)؛ وهو اسم يدل على اللغة الإسبانية الفصيحة. ولكن، توجد فروق كبيرة بين اللغة المستخدمة في إسبانيا وتلك المستخدمة في الأرجنتين. ولا يقتصر الأمر على الاختلاف في معنى الكلمات والتعبيرات المستخدمة في اللغة العامية فحسب، بل يشمل اختلاف طرائق العيش، وفهم الحياة في بعض الحالات. وبوجه عام، تنحدر غالبية العائلات الأرجنتينية من أصول إسبانية أو إيطالية. أمّا الآن، وبعد نحو قرن من وصول آخر الأسلاف من شبه الجزيرة الأيبيرية والجزمة الإيطالية (دلالة على خريطة إيطاليا) ليصبح (gallego) [إسباني بالعامية] أو (tano) [إيطالي بالعامية]، فقد تغيّرت الأوضاع على نحوٍ ملموس.

لقد أحدث الزمن هُوَّة، أفضت إلى ظهور ثقافات متباينة جدًّا؛ حتى عُدَّ ابتعاد شخص ما عن نمط الحياة الذي كان يحياه في بلده، وعودته إلى موطنه الأصلي، إنجازًا عظيمًا.

ممّا لا شكّ فيه أنّ ذلك يُعَدّ تحديًا صعبًا، فما بالك إذا كان الشخص المعني فتى بالكاد بلغ الثالثة عشرة من العمر! إنّ ترك عالم الطفولة، وبلدة المنشأ، والمدرسة، والأصدقاء، والفريق الذي تحبّ، وملاعب مالفيناس وبيلا فيستا، وجزءًا من العائلة؛ يتطلّب عزيمة كبيرة، خاصة إذا لم تكن هناك أيّ ضمانات للمستقبل.

يغادر ليو ميسي ووالده خورخي مدينة روزاريو في اتجاه برشلونة في السادس عشر من شهر أيلول عام 2000م.

لنعد إلى الوراء قليلًا؛ كي نتعرّف سبب صعود الأب وابنه طائرة الخطوط الأرجنتينية المتجهة عبر الأطلسي، وكيف قرّرا أن يُجرِّبا حظّهما في الأراضي الكاتالانية، وما يتوقّعانه في رحلتهما تلك.

بلغ ليو سنّ الثالثة عشرة، وهو يُعَدّ الآن معروفًا في مجال كرة القدم للفئات العمريـة. وقد خصَّصت بعض الصحف صفحتين لإجراء مقابلات معه، فضلًا عن الإشارة إليه في أثناء لعبه في كثير من بطولات الدوري المغمورة. علمًا بأنّه حصد الإعجاب في بوينوس آيرس بعد تجربة موفَّقة مع نادي ريفر بلايت. قبل ذلـك بسنتين، كان المدافع السابـق لناديي نيولز وريفر؛ فابيـان باسوالدو قد عمل وكيلًا لليو أشهرًا عدّة، في محاولة منه لوضع الفتى على المسار الصحيح، إلى أن جاء الوقت، وأدركت عائلة ميسي أن لا ضرورة لأحد في تلك السنّ لوكيل يُمثِّلـه. ولكن، في أحد الأيام من عـام 2000م، جاء رجلان يُمثِّلان شركة ماركا (شركة تُعنى ببيع اللاعبينَ وشرائهم، مقرّها الرئيس في روزاريو)، هما مارتن منتيـرو وفابيان سولديني، اللذان قَدَّما أنفسهما فـي بيت العائلة رقم 525، في إستادو دي إزراييل.

لا يـودّ خورخي؛ والـد ليونيل، الحديث عن هذيْـنِ الرجليْن، لأنّهما – كما سيُظهِـر سير تسلسل الأحداث في القصة- لم يفعلا شيئًا لمساعدة ابنه؛ حتى إنّهمـا سبَّبا له كثيرًا مـن المشكلات... وما زالت هنـاك قضايا عالقة وقضايا استئنـاف منظـورة فـي كثير مـن المحاكم إلـى يومنا هـذا. لندع عنّـا النزاع القضائي، ولنكمل القصة.

يريـد منتيـرو وسولديني تمثيـل ليونيل؛ فهمـا مقتنعانِ أنّ بإمـكان الفتى الصغيـر الحصولَ على مستقبل واعد مشرق مع أحد الأندية العريقة؛ سواء في إيطاليـا أو إسبانيا، في الإنتر أو الميـلان، أو ريال مدريد أو برشلونة. وقد أكَّدا أنّ لهمـا علاقات وصداقات في أماكن مرموقة. ومـع ذلك، فإنّ عائلة ميسي لا تنقـاد بسهولة وراء الوعـود الزائفة؛ إذ لن يكون هنـاك أيّ دفعات حتى يحظى الفتى بفرصة لتجربة حظّه في أوروبا.

لـم يَبْدُ الأمر مستحيلًا، لدى تذكُّر ما استطاع لياندرو دبريتيس الحصول عليه عندما تمكّن من السفر إلى أوروبا، والتدرُّب مع فريق الشباب في نادي آي سي ميلان. كلّ ما يتعيّن عليهم فعله هو التأكّد من أنّ تلك العلاقات والصداقات ليست مجرّد خدعة.

كان الرجـلان صادقيْـنِ؛ إذ اتصـل منتيـرو وسولديني في شهـر آب من عـام 2000م بهوريشيـو جاغيولـي، وهو أحد سـكان روزاريو، ويعمـل في مجال بيـع العقـارات وشرائها في برشلونة منذ سبعينيات القـرن الماضي، ويعمل مع وكيـل لاعبينَ يُدعى جوسيب ماريا منغويلا، وهـو المساهم رقم 2292 في نادي برشلونـة، ومستشار التنقّلات الخاص برئيس النـادي آنذاك خوان غاسبارت، الذي كان قد رشَّح نفسه لانتخابات رئاسة النادي التي أعقبت ذلك، لكنّه خسر أمام خوان لابورتا.

يتذكّر منغويلا ذلك قائلًا: «شاهدت تسجيلًا منزليًّا للفتى، وكان هوريشيو ومارتن وفابيان قد أكّدوا لي أنّه يستحق المشاهدة. لذا، اتصلت بتشارلي، الذي هو أحد الأصدقاء المقربين إليّ».

يضيـف كارلوس ريكساش، الملقـب بتشارلـي، الـذي كان مديـرًا فنيًّا للفريـق الأول لنـادي برشلونة حينها، قائلًا: أخبرني عـن فتى بارع جدًّا... مثل مارادونا. ظننته يتحدث عن فتى في الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة من العمر. فوجئـت حين عرفت سنّـه. كان يتعيّن عليـه أن يكون ظاهرة فعـلًا إذا أراد أن يلفـت انتباهنا. لم يكن من سياسة النـادي أن يُوقِّع أيّ عقود مع فتية من خارج كاتالونيا، فما بالك بفتى من خارج دول الاتحاد الأوروبي!

لقـد أكَّدوا لـي أنّه حالـة فريدة من نوعهـا. ومع أنّنـي أسافر كثيـرًا إلى أمريـكا الجنوبيـة، فقد قرّرنـا أن نجلبـه إلى برشلونـة ليتـدرَّب أسابيع عدّة؛

ليتسنى للمدرِّبين في النادي مشاهدته على مَهَلٍ. كان ذلك هو الحلّ الأمثل؛ إذ من الأفضل له ولنا القدوم إلى إسبانيا مع عائلته، بدلًا من ذهابنا نحن إلى الأرجنتين، واكتشاف أنّه مريض، أو أنّه لا يستطيع اللعب وقتئذٍ تحديدًا، فلا يكون وجودنا هناك ذا فائدة.

وبناءً على ما تقدَّم، سيصل ليونيل إلى عاصمة إقليم كاتالونيا في السابع عشر من شهر أيلول عام 2000م، بصحبة والده وفابيان سولديني، وسيكون هوريشيو جاغيولي في استقبالهما بمطار إل براتا؛ ليصطحبهم فيما بعد إلى فندق بلازا، الواقع في ساحة إسبانيا عند سفح تلّ مونتخويك، حيث سيلعب ليو مباراته الأولى - بعد سنوات عدّة- مع الفريق الأول في الملعب الأولمبي الواقع هناك. يمكن مشاهدة المدينة من نوافذ الفندق. وفي حال جرت الأمور على ما يرام، وتمكّن ليو من الانضمام إلى صفوف البارسا، فإنّها ستصبح موطنه الجديد. سيكون هناك بيت ومال ووظيفة لوالده، وربّما فريق لشقيقه الأكبر رودريغو.

وقد يبدو من غير المألوف أن تضع عائلة بأكملها الثقة بفتى في سنّ الثالثة عشرة. لكنّ سيليا وخورخي كانا قد فكّرا قبل الزواج في الهجرة إلى أستراليا؛ بغية الحصول على حياة جديدة في مكان جديد. لم يكن حالهما سيئًا، لكنّهما كانا على علم بأنّهما حقّقا أقصى ما يمكن تحقيقه تقريبًا، وأنّه لم يكن بمقدورهما تحسين حياتهما في الأرجنتين على نحوٍ أفضل ممّا هي عليه الآن. وفي واقع الأمر، فقد كانا يبحثان عن فرصة جديدة لأطفالهما، ولعلّ هذه الفرصة قد أصبحت قاب قوسين أو أدنى منهما؛ فمن ناحية، يمكن لليو متابعة العلاج في برشلونة، ومن ناحية أُخرى يمكنه تطوير مهاراته في نادٍ عريق يليق بالموهبة التي يمتلكها. لكنّ اتخاذ قرار مثل هذا أمر صعب. وقد سأل أفراد العائلة أنفسهم مرارًا عن مدى صحة القرار الذي هم على وشك اتخاذه. لذا،

تجمّع أفراد العائلة قبل المغادرة حول طاولة، وتساءلوا عمّا يودّون فعله، ثمّ توصّلوا إلى أنّه إذا امتنع أحدهم عن السفر، فإنّ الجميع سيبقون في روزاريو.

حُدِّد موعد التجربة بعد ظهر يوم الإثنين الموافق للثامن عشر من شهر أيلول. وقد اعترت ليو حالة من الدهشة والذهول لدى رؤيته المرافق الرياضية؛ ما حفز بعضهم إلى التقاط صورة له عند إحدى بوّابات ملعب مينيستادي (ملعب فريقي الرديف والشباب)، تمامًا كما تفعل جموع السيّاح التي تزور ملعب نو كامب كلّ يوم. بعدئذٍ، توجّه ليو إلى إحدى غرف الملابس لتغيير ثيابه، ثمّ الانضمام إلى فرق الفئات العمرية التي تتدرَّب على الملعبيْنِ: رقم (2)، ورقم (3).

استمر ليو -على مدار أسبوع- في التدرّب، ولعب مباريات قصيرة مع فتية يماثلونه في العمر. وكان والده خورخي يتابع أداءه من المدرّجات بصمت، تمامًا كما كان يفعل في ملاعب روزاريو. لا يريد ليو أن يُخيِّب أمل والده؛ فأحرز خمسة أهداف في مباراة واحدة، ناهيك عن سادس لم يحتسبه الحكم.

يُذكَر أنّ خورخي وعد ليو باصطحابه لشراء بذلة رياضية في حال نجح في تسجيل ستة أهداف، وأنّ عليه الوفاء بذلك الوعد في نهاية المطاف.

يُجمِع المدرِّبون كافة ممّن شاهدوه على مهارته الفائقة في اللعب، لكنّ القرار النهائي بيد ريكساش الموجود في النصف الآخر من الكرة الأرضية، في مدينة سيدني الأسترالية، حيث تجري الألعاب الأولمبية. وكان ريكساش قد ذهب هناك لمتابعة مباريات كرة القدم، التي أسفرت عن وصول إسبانيا والكاميرون إلى المباراة النهائية، التي فازت بها الأخيرة بركلات الجزاء الترجيحية؛ ما أدّى إلى تمديد مدة إقامة ليو في برشلونة حتى عودة شارلي في الثاني من شهر تشرين الأول.

وبذا، فقد بقيت مجريات الأمور مُبهَمة وغير واضحة، وكان لِزامًا الفصل فيها بأقرب وقت ممكن. وقد بدا ذلك الأمر قريبًا؛ إذ ستقام مباراة بين فريق الطلبة الذين تتراوح أعمارهم من (14) إلى (15)، وفريق طلبة السنة الأولى على ملعب مينيستادي رقم (3)، يوم الثلاثاء الموافق للثاني من شهر تشرين الأول، الساعة الخامسة مساءً. وكان تشارلي يترقَّب هذه المباراة باهتمام؛ لمشاهدة كيف يبلي ليو في مواجهة فريق الفتية ممّن يفوقونه سنًّا.

يتذكّر ريكساش ذلك قائلًا: «كنت قد أنهيت تناول الطعام توًّا، ووصلت إلى الملعب بعد خمس دقائق من الموعد. كان الفريقان قد بدأا اللعب فعلًا. كان عليَّ الركض من حول الملعب للوصول إلى الدكّة حيث يوجد المدرِّبون.

وقد تطلَّب منّي الأمر سبع أو ثماني دقائق للالتفاف. وحين وصلت الدكّة كنت قد اتخذت قراري. قلت لريفه وميغويلي (مدرِّبي فريق الشباب): «لنوقِّع معه العقد حالًا. لقد أذهلني هذا الفتى؛ فمع أنّه لايزال صبيًّا صغير الحجم، لكنه متميِّز، يملك ثقة عالية بالنفس، نشيط، سريع، ماهر، قادر على الاحتفاظ بالكرة في أثناء الركض بأقصى سرعة، مراوغ جيد لكلّ مَنْ يعترضه.

لم أجد صعوبة في اكتشاف ذلك؛ فمواهبه التي يعرفها الجميع الآن، كانت أكثر وضوحًا حين كان في سنّ الثالثة عشرة. هناك دائمًا لاعبو كرة قدم في حاجة إلى فريق يساندهم ليلمع نجمهم، لكنّه ليس كذلك. وكنت دائمًا أجيب مَنْ يعزو إليَّ الفضل في اكتشافه بالقول: «لو أنّ الذي رآه كان من سكان المريخ لعرف أنّه مميَّز جدًّا».

وافق المدير، وحُسِمت الصفقة. وبعد ذلك بيومين، يغادر ليو ووالده بالطائرة متوجّهيْنِ إلى بوينوس آيرس تغمرهما فرحة عارمة. وكان تشارلي ريكساش قد أكَّد بوساطة طرف ثالث أنّه سرعان ما ستُوجَّه إليهما دعوة للسفر إلى برشلونة مرّة أُخرى؛ للانتهاء من تفاصيل العقد.

لا يعرف خورخي تشارلي شخصيًّا - حتى يومنا هذا - الظروف والملابسات التي اكتنفت توقيع هذا العقد، لكنّه يعترف أنّ سبب لعب ابنه لنادي برشلونة، هو عناد ذلك المدرِّب.

انتهت المغامرة على الطرف الآخر من المحيط الأطلسي على نحوٍ طيب. لكنّ الأمور تصبح أكثر تعقيدًا كلّما اقتربت من مراحلها النهائية؛ إذ لايزال هناك كثير من العقبات لتخطّيها. يتذكّر ريكساش – المُلقَّب بفتى بدرالبس (أحد أحياء برشلونة)، وأحد رموز النادي– اليومَ المشكلات جميعًا التي واجهها، في أثناء جلوسه معنا في مقهى فندق الأميرة صوفيا القريب من ملعب نو كامب.

«كانت أولى المشكلات أنّه أجنبي، والقوانين تمنع أيّ طفل أجنبي من اللعب في الدوري أو البطولات الوطنية. كان ذلك بالنسبة إلينا عائقًا كبيرًا. وتمثَّلت المشكلة الثانية في أنّه لايزال طفلًا. فقد ينتهي به المطاف في نادٍ آخر؛ سواء كان ذلك خياره، أو من جرّاء الإصابة، أو العمر. أمّا المشكلة الثالثة فتتعلّق بوالديه؛ فما الذي سيفعلانه؟ يتعيّن علينا إيجاد وظيفة لكلٍّ منهما في حال قرّرا الانتقال إلى إسبانيا.

وأخيرًا، فالفتى يعاني مشكلة في النمو، ويحتاج إلى العلاج».

يشرح ريكساش كيف وازن بين السلبيات والإيجابيات، ليُقرِّر بعدها - مع زملائه- أنّ عليهم المجازفة، وبأيّ ثمن، «وتوقيع العقد؛ لأنّه بارع جدًّا». ومع ذلك، لم يكن جميع مَنْ في النادي مقتنعينَ بالأمر. وقد جرت العادة على طرح كثير من الأسئلة ساعة اتخاذ القرار؛ فقد رأى بعضهم أنّ ليو صغير الحجم هزيل الجسد، وأنّه مجرّد لاعب لافت لا أكثر. وقد ردّ تشارلي على مثل تلك الآراء والاعتراضات بقوله: «أحضروا لي اللاعبين اللافتينَ الصغار كلّهم،

أريدهـم جميعًا في فريقي». حتى رئيس النادي، خـوان غاسبارت، طلب شرحًا وتفسيـرًا للموضوع؛ لمعرفـة إذا كان الأمـر يستحق العناية بصبـي في الثالثة عشرة من العمر وعائلته.

يـردّ تشارلي بالإيجـاب، موضِّحًا أنَّ هـذا الأمر يُعَدّ مجازفـة يتعيّن على النـادي خوضها. يمرّ الوقت في هذه الأثناء، فينتهـي شهر تشرين الأول، يتبعه تشرين الثاني من دون وصول القرار المنتظر.

سوف يتصل منغويلا بريكساش في الرابع من شهر كانون الأول، ويخطط للاجتماع به في مطعـم بجمعية بومبي ريال للتنس في مونتخويك. وفي الموعد المحـدَّد، حضـر هوريشيـو جاغيولي — الـذي كان يُمثِّل عائلـة ميسي حينها — الاجتمـاعَ أيضًـا. يبدو أنّه الأكثـر إصرارًا، ويتذكّر أنّه قـال: «لقد قطعنا شوطًا كبيرًا يا تشارلي. إمّا أن تأخذوه، وإمّا أن يذهب إلى مكان آخر....». ثمّ يضيف: «لم أكن أخدعه، فقد بدأنا حقًّا مفاوضات مع ريال مدريد».

يقول ريكساش: «لم يثقـوا بي ولا ببرشلونة. لقد أرادوا اتفاقًا مكتوبًا، وإلّا فإنّهم كانوا سيضعون حدًّا للمفاوضات. كنت مُصِرًّا على ألّا يفلت ذلك الصبي من يدي. لذا، تناولت منديلًا ورقيًّا، ثمّ كتبت شيئًا جعل النادي يوافق على توقيع العقـد مع ليو ميسي في حال استُجيب لشروطه. ذيَّلت توقيعي على المنديل، ثمّ أعطيته إيّاه».

وكـذا فعـل كلٌّ من منغويـلا وجاغيولي أيضًـا (حُفِظ المنديـل بعد ذلك، وأصبـح بمنزلـة قطعة أثرية)، وكان ذلك ميثاق شـرف، لكنّه لم يكن كافيًا؛ إذ تـودّ عائلة ميسي الحصـول على بعض الضمانات قبل حـزم حقائبها، ومغادرة برشلونة؛ بَدءًا بدفع تكاليف السفر، وانتهاءً بتوفير منزل ووظيفة لخورخي الذي سيترك عمله في مؤسسة أسيندار للحاق بابنه وبقية أفراد العائلة.

يعمل تشارلي ريكساش بجدّ لحلّ المشكلات العالقة، لكنّ الأمر ليس بالهيِّن؛ إذ «لم نستطع مناقشة مسألة تقديم عقد في البداية؛ فقد كان طفلًا سيلعب مع فرق الشباب. لكن، كان لزامًا علينا فعل ذلك، وهذا ما حدث فعلًا».

في الثامن من شهر كانون الثاني عام 2001م، جرى التوصّل إلى اتفاق نهائي في مطعم آخر في برشلونة يُدعى فيا فينيتو. وفيه التقى خوان لاكويفا الذي كان حينها مدير الكرة في النادي مع منسِّق أكاديمية الشباب خواكيم ريفه الذي يملك قدرة على استشراف المستقبل، ويودّ أن يبذل النادي جهدًا لإغراء ميسي. طلب ريفه تقريرًا من المتحمِّس ريكساش، الذي كتب ببساطة «إنّ ميسي لاعب خارق». وبناءً عليه، كُتِبَت رسالتان إلى خورخي ميسي؛ إحداهما من تشارلي تؤكِّد الاتفاقَ الذي أبرِم مع العائلة في برشلونة، والأُخرى من لاكويفا تتعلّق بالشروط المالية، ويشرح فيها التفاصيل الخاصة بالمنزل الذي سيُؤجَّر لهم، والمدرسة، ومبلغ سبعة الملايين بيزيتا (40,000 دولار تقريبًا) التي سيحصل عليها الأب لقاء العمل في النادي، وهو مبلغ يساوي تقريبًا ما يحصل عليه اللاعب عادة. ولكن، في مثل هذا الحال، سيكتفي اللاعب بمنحة دراسية.

كانت الرسالة كافية لكي تحزم عائلة ميسي أمتعتها؛ إذ حطَّت العائلة بأكملها الرِّحالَ في مطار مقاطعة كاتالونيا، في الخامس عشر من شهر شباط عام 2001م، حيث كان شتاء برشلونة على أشدّه.